

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church of Toronto
Stouffville, ON
Canada

الرسالة إلى أهل رومية

الاصحاح الحادي عشر: الله اختارك فلا تستكبر بل خف
- القديس بولس اظهر بروح الحب في الاصحاح العاشر سر جحود وسقوط اليهود، لا ليحط من امتيازاتهم في العهد القديم، إنما ليرفعهم فوق روح التعصب وضيق الأفق، فيتمتعوا مع سائر الأمم ببر السيد المسيح، بل ويشعروا بالتزامهم بالكراسة به أكثر من غيرهم.
- في هذا الاصحاح يحذر بذات روح الحب أيضاً الأمم وإيانا لنلا نفقد بر السيد المسيح خلال كبرياننا أو استخفافنا باليهود، موضحاً حب الله الفائق نحو كل الخليقة.
- وهنا يعلن أن اليهود لا بد أن يقبلوا السيد المسيح في أواخر الدهور، ويتراجعوا عن الجحود الذي يمارسونه الآن. وبهذا فهو يعطي رجاء لليهود ليتخلوا عن جحودهم ومقاومتهم للإيمان، كما يقدم تواضعاً للأمم الذين آمنوا "بالتطعيم" في الشجرة الأصلية.

الرسالة إلى أهل رومية

"فأقول: أعل الله رفض شعبه؟ حاشا. لأنني أنا أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين. لم يرفض الله شعبه الذي سبق معرفه، أم لستم تعملون ماذا يقول الكتاب في إيليا؟ كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً: يا رب قتلوا أنبياءك، وهدموا مذبحك، وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي؟ لكن ماذا يقول له الوحي؟ أبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل" [1 - 4]

- خشى القديس بولس أن يُساء فهم اقتباسه من إشعياء النبي: "أما من جهة إسرائيل، فيقول: طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم" (رومية 10: 21؛ إشعياء 65: 2)، فيحسبون أنه يغلق الباب على إسرائيل مزدرياً به، لذلك أسرع بهذا السؤال: "أعل الله رفض شعبه؟" وجاء بإجابة حاسمة: "حاشا!"

الرسال إلى أهل رومية

- نلاحظ أنه لم يقل "شعبه" فحسب بل قال: "شعبه الذي سبق معرفه" [2]. فإن الذين قبلوا الإيمان من اليهود هم قليلون لكنهم "معروفون" لدى الله، هذا هو شعبه! كأن وعد الله قائم وقد تحقق حتى في اليهود وأن الذين تمتعوا به قليلون.

- شعب الله معروف لديه، يعرف عددهم، ويناديهم بأسمائهم، وإن كانوا قلة مخفية كما في أيام إيليا حيث انحرف الشعب إلى العبادة الوثنية وقتلوا الأنبياء وهدموا مذبح الله، لكن الشعب الحقيقي كان محصياً لديه (7000 رجل) لم يحن ركبة لبعل بل هو أمين في عبادته، لم يعرفه حتى إيليا نفسه الذي ظن أن الشعب كله قد هلك، فطلب لنفسه الموت، قائلاً: "بقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها... فقال له الرب... قد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث للبعل" (1 ملوك 19: 14 - 18)

الرسالة إلى أهل رومية

- يقدم القديس بولس ثلاثة أدلة على عدم رفض الله لشعبه:
1) يقدم نفسه دليلاً على ذلك، إذ يقول: "لأني أنا أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين" [1]. بقوله "أيضاً" يقصد غيره من اليهود المؤمنين بالسيّد المسيح سواء في كنيسة رومية أو غيرها، فقد أوضح أن الله لا يزال يحقق وعوده لشعبه، وأنه هو إسرائيلي حقاً من سبط بنيامين من نسل إبراهيم وليس دخيلاً، وقد نال الوعد بل وصار كارزاً به.
2) ما ورد في سفر ملوك الأول (اصحاح 19) عن إيليا النبي الذي ظن في نفسه أنه لم يعد يوجد بعد شعب مختار لله إذ اختفت الكنيسة عن عينيه، لكنها لن تختفي عن عيني الله. وكان هذا نبوة ورمزاً للشعب اليهودي الذي قاوم السيّد المسيح وقتلوا تلاميذه وأرادوا تحطيم مذابحه الحية، وظهر الكل كهالكين، لكن من بينهم كان التلاميذ الذين من أصل يهودي وقد قبلوا الرب وشهدوا له، وأيضاً وجد كثيرون آمنوا وإن كانوا قلة بالمقارنة للمقاومين.

الرسالة إلى أهل رومية

3) أعلن كلمات الرب على فم موسى النبي: "أنا أغيركم بما ليس أمة، بأمة غبية أعيظكم" (رومية 10: 19)، الأمر الذي يشرحه بإسهاب في هذا الأصحاح [11-36]، موضحاً أن ما حدث من جحود بالنسبة لأغلبية اليهود يفتح باب مراحم الله أمام الأمم حتى متى يتم ملء الأمم، في آخر الأزمنة، يرجع اليهود عن كبريائهم وجحودهم ليقبلوا الإيمان بالسيّد المسيح.

- والآن، إذ أوضح بالدليل القاطع، خلال نفسه كمثال وخلال شهادة الأنبياء، خاصة موسى وإيليا أن وعد الله قائم، وإن كان الذين تحقق فيهم الوعد قلة، فإن سر جحودهم هو "قساوة القلب" أو بمعنى آخر فساد العين الداخلية (القلب) وعجزها عن معاينة الله والتعرف على أعماله الخلاصية.

الرسالة إلى أهل رومية

"فكذلك في الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة. فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة، وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً. فماذا؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله، ولكن المختارون نالوه، وأما الباقون فتقسوا. كما هو مكتوب: أعطاهم الله روح سبات وعيوناً حتى لا يبصروا، وآذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم. وداود يقول: لتصر مائدتهم فخاً وقتصاً وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كي لا يبصروا، ولتحن ظهورهم في كل حين" [5 - 10]

- يقدم هنا صورة واقعية لحال إسرائيل، إذ رفض غالبيتهم الإيمان، وقبل القلة أن يتمتعوا بالوعد كشعب الله الحقيقي، مقدماً تفسيراً لسر جحود الغالبية، مدعماً ذلك بشهادة العهد القديم نفسه عنهم.

الرسالة إلى أهل رومية

- البقية التي تتمتع بالخلاص، تتمتع به خلال نعمة الله المجانية، وليس خلال حرفية أعمال الناموس ولا أعمال البر الذاتي.
- هذه الأعمال تضاد النعمة، أي أعمال الحرف القاتل التي بلا روح، والأعمال النابعة عن الذات، أما الأعمال الروحية التي هي من عمل الروح القدس فينا فليست مضادة للنعمة بل تتجاوب معها.
- "فماذا؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله" [7]، يعني أنهم طلبوا أن يتبرروا بأعمال الناموس الحرفية وسعوا ببرهم الذاتي فحرموا من عطية البر.
- "ولكن المختارون نالوه" [7]، تعني أن هذه القلة التي قبلت الإيمان بالسيد المسيح ونالت النعمة الإلهية تتمتع بالخلاص كقناة مختارة.
- ولنلا تعترض الأكثرية، قائلة: "ما ذنبنا نحن مادماً غير مختارين؟"
لذلك كشف عن دورهم في الجحود: "وأما الباقون فتقسوا" [7].
- إن كانت النعمة هي عطية الله المجانية فإن قسوة القلب هي من عندنا.

الرسالة إلى أهل رومية

- لقد قاوموا الحق، ولم يتجاوبوا مع نعمة الله المجانية، لذلك تركهم لفساد قلوبهم القاسي، فانطمست بصيرتهم الداخلية وعجزوا عن الاستماع لصوته. الأمر الذي سبق فأنبأ عنه الأنبياء، وقد لخصه بقوله "كما هو مكتوب: أعطاهم الله روح سبات، وعيوناً حتى لا يبصروا، وآذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم" [8]

- إذ جاء في العهد القديم:

"ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا، وأعيناً لتبصروا، وآذاناً لتسمعوا،

إلى هذا اليوم" (تثنية 29: 4)

"اسمعوا سمعاً ولا تفهموا، وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا"

(أشعيا 6: 9)

"لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم"

(أشعيا 29: 10)

الرسالة إلى أهل رومية

- هكذا يوضح لهم أنهم إذ رفضوا عمله التبشيري فيهم صاروا إلى حال رديء، إذ صارت نفوسهم لا ترى الحق ولا تسمع له، بل صارت نائمة وخاملة تحمل "روح السبات" الذي يعني عدم التغيير، أو الاستكانة لما هي عليه من شر.

- أما ثمر هذا فقد أعلنه داود النبي هكذا: "لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً

وعثرة ومجازاة لهم" [9]، (مزمو 69: 22). بمعنى أنهم وهم

مطمئنون ومستكينون للشر تحل بهم النكبات وسط ولا تمهم، فيتحول فرحهم إلى غم، وسلامهم إلى ضيق.

- "لتنظم عيونهم"، لأنهم لا يروا مجد الله بعد كل ما عمله معهم.

- "لتنحن ظهورهم" علامة الضعف والعجز الروحي والعبودية، فإن الخطية ثقيلة ومرهقة للنفس، والناموس يعجز عن أن يرفعها خارج النعمة.

الرسالة إلى أهل رومية

"فأقول: ألعلم عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا. بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم. فإن كانت زلتهم غنى للعالم، ونقصانهم غنى للأمم، فكم بالحرى ملوهم! فإني أقول لكم أيها الأمم إنني أنا رسول للأمم أجد خدمتي. لعل أغير أنسباني وأخلص أناساً منهم؟ لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم، فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الموت. وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين! وإن كان الأصل مقدساً فكذلك

الأغصان " [11 - 16]

- أراد القديس بولس أن يرفع من نفسية اليهود حتى يقوموا من العثرة التي سقطوا فيها، معلناً أنها سبب خلاص للأمم.
- فهنا يظهر حب الله وحكمته في استخدام عثرة اليهود لخلاص الأمم، ويستخدم خلاص الأمم لإغارة اليهود ليرجعوا إليه بالتوبة. إنه صانع خيرات، يحول الشر كما الخير لبنيان البشرية فيه.

الرسالة إلى أهل رومية

- هذه الآيات تعطي معني مشابهة للأمثال في الكتاب المقدس.
- ففي مثل العرس إذ رفض المدعون الحضور، دُعي الذين في الشوارع والطرقات (متي 22: 9). وفي مثل الكرم إذ قتل الكرامون الوارث، جاء صاحب الكرم بكرامين آخرين (متي 21: 38).
- وإذ قاوم اليهود بولس مناقضين ومجدفين جاهر قائلًا لهم: "كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هوذا نتوجه إلى الأمم" (أعمال 13: 46).
- أي أنه كان يجب أن تبدأ الكرازة باليهود ثم تتحول إلى الأمم، لكنهم إذ رفضوا الإيمان ولم يقبلوا الرب يسوع بل صلبوه، فاجتذبت الأمم إليه، وصار الأولين آخرون والآخرون أولين (كقول الرب في متي 19: 30، مرقس 10: 31، لوقا 13: 30)، حتى إذ يقبلوا الإيمان وينالوا المواعيد يغير اليهود فيؤمنوا.

الرسالة إلى أهل رومية

- نري أيضاً أن القديس بولس يقدم سببين رئيسيين في خدمته للأمم:
1) التزامه بالعمل كرَسُول مفرز لخدمة الأمم، يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على كتفيه من قبل الله نفسه الذي أفرزه من بطن أمه وكرسه لهذا العمل، لذا يقول:

"فإني أقول لكم أيها الأمم بما أني رسول للأمم أمجد خدمتي" [13]

2) أنه يري في خدمته للأمم ما يثير غيرة اليهود، مشتاقاً أن يقبلوا النعمة التي قدمت لهم ورفضوها: "لعلي أغير (أجعلهم في غيرة) أنسباني وأخلص أناساً منهم" [14].

- أراد أن يبرز قوة عودة اليهود الجاحدين إلى الإيمان بالسيد المسيح، فحسب هذا العمل أشبه بالقيامة من الأموات، إذ يقول: "لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم، فماذا يكون اقتبالهم لإحياة من الأموات؟" [15]، كأن الله سيتمجد فيهم وتبتهج الكنيسة في العالم كله برجعهم، ويتهلل الكل ليراهم كمن هم قيام من الأموات.

الرسالة إلى أهل رومية

"فإن كان قد قُطع بعض الأغصان، وأنت زيتونة برية طُعمت فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتون ودسمها، فلا تفتخر على الأغصان. وإن افتخرت، فأنت لست تحمِل الأصل، بل الأصل إياك يحمل. فستقول قُطعت الأغصان لأطعم انا. حسناً، من أجل عدم الإيمان قُطعت. وأنت بالإيمان ثبت. لا تستكبر بل خف" [17 - 20]

- يقدم القديس بولس للأمم تحذيراً لنلأ بعد ما طُعموا في شجرة الزيتون الأصلية وحُسبوا أبناء إبراهيم بسبب قبولهم الإيمان يسقطون في الكبرياء فيخسرون هذه العطية.

- بينما يوبخ اليهود على عدم إيمانهم: "حسناً، من أجل عدم الإيمان قُطعت" [20]، يتحدث بحزم مع الأمم أن يثبتوا في الإيمان الذي قبلوه "لا تفتخر على الأغصان... لا تستكبر بل خف" [18-20].

الرسالة إلى أهل رومية

"لأنه إن كان الله لم يشفق على الأخصان الطبيعية، فلعله لا يشفق عليك أيضاً. فهوذا لطف الله وصرامته، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. وأما اللطف فلك أن ثبت في اللطف، وإلا فأنت أيضاً ستقطع. وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيطعمون لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً. لأنه إن كنت أنت قد قطعت من الزيتون البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة، فكم بالحري يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة" [21 - 24]

- إن كان عدو الخير غلب الكثيرين من اليهود برفض الإيمان تماماً، فإنه لا يلقي بسلاحه أمام الذين يؤمنون، إذ يحاول تحطيمهم بالكبرياء.

- نوالنا نعمة الله يسندنا في الجهاد لكنه يثير العدو علينا أكثر فأكثر، لذا يليق بنا أن نحذر مجاهدين بالنعمة عينها التي ننالها.

- إن كان الله يطلب الثمر فإن القديس بولس يؤكد أن هذا الثمر يتحقق بالثبوت في الإيمان المعن خلال تجاوبنا مع نعمة الله بالحياة العاملة، التي بها ندخل بالأكثر في دائرة لطف الله وإلا فأنت أيضاً ستقطع [22].

الرسالة إلى أهل رومية

"فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء، إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل كما هو مكتوب: سيخرج من صهيون المنقذ

ويرد الفجور عن يعقوب" [25 - 26]

- يقدم القديس بولس "سراً"، أي أمراً إلهياً بقي مخفياً كما إنه عمل يصعب على الإنسان قبوله بحكمته البشرية، وبنوده: (1) جحود إسرائيل جزئي لا كلي، إذ قبل بعض اليهود الإيمان بالسيد المسيح كالرسل وغيرهم. (2) ينتظر الله ملء الأمم. (3) ببلوغ ملء الأمم يعود إسرائيل، فيقبل الإيمان بالسيد المسيح؛ هذا لا يعني جميع الأفراد.

- في قوله "إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل" يشرح أن عدم الإيمان لم يكن جامعاً وإنما كان جزئياً، كما سبق وتنبأ أشعيا بهذا:

"ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب"

(أشعيا 59: 20)

الرسالة إلى أهل رومية

"وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزع خطاياهم. من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم وأما من جهة الاختيار، فهم أحياء من أجل الآباء"
[28 - 27]

- هنا يشرح أن العهد هو من قبل الله متى "نزع خطاياهم" وليس عندما يقدمون ذبائح ولا عندما يمارسون أعمال الناموس الأخرى، كقول الكتاب:

"لذلك بهذا يكفر اثم يعقوب وهذا كل الثمر نزع خطيته في: جعله كل حجارة المذبح كحجارة كلس (جير) مكسرة لا تقوم السواري ولا الشمسات (تماثيل الشمس)" (أشعيا 27: 9)
"ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً" (ارميا 31: 31)

الرسالة إلى أهل رومية

- في قوله "من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم" [28]، يقصد أنه عندما دُعي اليهود كان الأمم كأعداء، ولكن الله قبلهم.
- كذلك فالله لا يريد أن يقف عن دعوة اليهود بل ينتظر حتى يؤمن كل الأمم وعندئذ يري ويغير بقية اليهود ويأتون للإيمان.
- يطمئن القديس بولس اليهود أنه بالرغم من رفضهم، ستعلن لهم الرحمة ثانية لأن هبات الله ودعوته لا تتغير، فقال:
"لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة. فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتكم بعضيان هؤلاء. هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكي يرحموا هم أيضاً برحمتكم. لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع" [29 - 32]

الرسالة إلى أهل رومية

"يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لأن من عرف الرب؟ أو من صار له مشيراً؟ أو من سبق فأعطاه فيكافئ؟ لأن منه وبه وله كل الأشياء، له المجد إلى الأبد. أمين" [33 - 36]

- يختم القديس بولس هذا الأصحاح بتسبحة يُعلن فيها مجد الله من جهة أحكامه الفائقة الإدراك ومحبته الشديدة لكل البشرية.
- ويتهلل في هذه التسبحة بتدبير الله الذي هيأ العالم القديم ليعد عالماً جديداً، يدرك عناية الله ومراحمه ويثق بكل وعوده.
- وهو يؤكد لليهود والأمم والعالم أجمع أن خطة الله تفوق إدراك الخليقة، ومحبته عجيبة إذ "منه وبه وله كل الأشياء"، وهو يتمجد في خليقته إلى الأبد.

